الخلاف ما بين الاتجاهين الا ما ظهر في الكتب والبيانات والتصريحات الصحفية ، وبكلمة اوضح كانت حدود التمايز ما بين فتح ويسار المقاومة تتوقف على الورق ولم تترجم عمليا على ساحة الواقع الاجتماعي وبالتالي الثوري . ومن هنا نرى بان مسؤولية ما حصل في الاردن لا تتوقف فقط على فتح بل على المقاومة الفلسطينية ككل ، يسارها ويمينها .

ويتابع العظم كلامه حول « التصاقية » فتح بالواقع العربي فيقول : « ان مشروع الثورة يكون دوما من الواقع الفاسد وضده في نفس الوقت ، وقد وعى بعض قادة فتح هذا الانتماء المزدوج المتعارض لمشروع الثورة ولكنهم لم يفهموا مدلولات هذه الواقعة بصورة ديالكتيكية متحركة بحيث تعني نمو المشروع باتجاه التغليب التدريجي لاحد طرفي التناقض على الاضرار (...) وهذه الالتصاقية بطرف الواقع القائم فعلا من التناقض تكمن خلف ما هو معروف ومعترف به بالنسبة لتحويل فتح للبراجماتية الى فضيلة كبرى ، وتقديسها للعفوية والتلقائية على صعيد الجماهير والافراد ، وغياب استراتيجية لصالح الطغيان الكامل للتكتيك (وفي احيان بمعناه المبتذل) بالاضافة ليس الى مجرد غياب النظرية والجهد التنظيمي في العمل الثوري بل ايضا الى احتقارهما » (ص ٢٧) .

نسي العظم هنا ايضا بأن « التصاقية » فتح بالواقع العربي وانجرافها مع الجماهير في واقعها « الفاسد » دون تغييره ، يقابلها ايضا من الجهة الثانية تحليق يسار المقاومة فوق الواقع وبالتالي فوق حركة الجماهير . حيث تحولت الثورة مجرد الفاظ ، والشعارات مجرد جمل تتكرر وتتردد وتتبدل دون تعبئة ودون تنفيذ وبمعزل عن مدى ملاءمة الشعار لواقع الجماهير « الفاسد » ومدى تقبل تلك الجماهير لسيل من المصطلحات الجديدة التي لم تسمع بها من قبل . وفي الوقت الذي كانت ايديولوجية الطبقة الحاكمة سائدة في صفوفها وراسخة ، بحكم تكونها التاريخي ، بعمق يستحيل استئصالها بسرعة وبقفزة هوائية . وهذا يعني بان يسار المقاومة لم يكن يتعاطى بشكل جدي مع الواقع ، ولم يكن يتعامل ثوريا — ديالكتيكيا مع حركة الجماهير ، بل كان مجمل تعاطيه يتوقف عند حدود فتح — قيادات فتح و « ادمغتها » المفكرة منها ، ولم يتجاوزها عمليا — ممارسة ، الا عند حدود تسجيل المواقف ذات الصفة النظرية والسجالية مع فتح وخطها السياسي . والعظم يعترف بدوره في الصفحات الاخيرة من كتابه ببعض هذه الوقائع ، اذ يقول : « لا بد من الاشارة هنا الى انه مع ان منظمات يسار المقاومة المعروفة قد فهمت بصورة افضل من غيرها طبيعة المعضلات التي تواجه حركة التحرر الفلسطينية ، والدلالات الاهم والاعمق لكل من هزيمتي حزيران ١٩٦٧ وايلول ١٩٧٠ وادركت الاخطار الكامنة في التوجه العسكري الضيق لحركة فتح ، مع ذلك بقي فهمها لكل هذه الامور اقرب الى الصعيد الفكري والتأملي منه الى صعيد الممارسات العملية على مستوى الواقع المتحرك » (ص ٢٥١) . ولهذا يعتبر العظم بان المقاومة الفلسطينية وصلت « بعد مضي خمس سنوات على هزيمة حزيران اصبح التجانس شبه كامل بين حركة المقاومة والوضع العربي المهزوم من حيث تجميد اطلاق النار المباشر على العدو الاسرائيلي » (ص ٢٠) وذلك بسبب « ان اي تنظيم ثوري يطمح لقيادة الجماهير يجب ان يعرف كيف يتعلم من الجماهير ولكن يجب عليه ايضا ان يعرف كيف يواجه بنجاح وبنضال حازم اشكال التخلف وجوانب النقص والجمود التي يتصف بها الوعي الجماهيري العفوي المتروك لسجيته من ناحية ، ولوصاية الطبقة الحاكمة واجهزتها « في التثقيف الشعبي » من ناحية ثانية » (ص ٤٥) . ان محاكمة العظم للمقاومة الفلسطينية تأتي من جهة كأنها لم تكن تعايش واقع المقاومة والظروف المحيطة بها — طبعا هذا لا يعني باننا يجب ان نلجأ الى منطق التبرير لا النقد فنقع فريسته دون نتيجة عملية — فهو من جهة يعتبر الحركة الوطنية الفلسطينية « امتدادا » للواقع العربي والحركة الوطنية العربية ومن جهة ثانية يعتبر بان المقاومة الفلسطينية مثلت في مرحلة ما بعد ٥ حزيران دور البورجوازية الصغيرة الفلسطينية التي تخلفت عن البورجوازية الصغيرة العربية وكررت دورها الذي سبقتها هذه في تمثيله قبل هزيمة ١٩٦٧ . وساقه تحليله هذا للقول بأن وضع المقاومة بعد أيلول اصبح « متجانسا » مع « الوضع العربي المهزوم » منذ خمس سنوات ، مستندا في ذلك لحالة وقف « اطلاق النار المباشر على العدو الاسرائيلي » متجاوزا بذلك عملية خنق المقاومة في لبنان وتصفيتها في الاردن ومحاولة استيعابها سياسيا في بقية الاقطار العربية . هذا عدا عن تجاهله لبعض العمليات العسكرية التي جرت وتجري داخل